الاشهار القومي في شعر العصر المملوكي (648هـ- 784هـ)

الباحثه: علياء حسين عبيد
مديرية تربية بابل
أ.م.د بشائر امير عبد السادة
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة بابل

National Publication in the Poetry of the Mamluk Era (648 A.H. - 784 A.H.)

researcher: Alyaa Hussein Obeid
Babylon Education Directorate
Dr.Bashaer Amir Abd-Al- Sada
College of Education for Human Sciences / University of Babylon
alftlawybshayr@gmail.com

Summary:
National advertising is a persuasive communicative activity in addition to that it acquires aesthetic features to give an indicative dimension to the advertising texts, exerts an influence on the behavior of the recipients and works to change their attitudes, tendencies and tastes. National advertising forms the awareness of the masses by changing or consolidating some ideas and transforming them into the interest of a particular nationalism, and instilling opinions that are in line with the objectives of the party conducting the advertising process.
Keywords: publicity, nationalism, Arab

الملخص:
يُعد الإشهار القومي نشاطاً إتصالياً إقناعياً فضلاً عن انّه يكتسب سمات جمالية لإضفاء بعداً دلالياً على النصوص الإشهارية ، يمارس تأثيراً في سلوك المتلقين ويعمل على تغيير اتجاهاتهم وميولهم وأذواقهم ، ويقوم الإشهار القومي بتشكيل وعي الجماهير عبر تغيير أو ترسيخ بعض الأفكار وتحويلها إلى صالح قومية معينة ، وغرس الآراء التي تتماشى مع أهداف الجهة القائمة بعملية الإشهار.
الكلمات المفتاحية: الاشهار، القومي ، العربي ، التركي

المقدمة

إنّ النصوص الإشهارية هي نصوص تواصلية تهدف إلى غايات متنوعة قد تكون اخلاقية او اجتماعية او سياسية او دينية , تسعى إلى تحقيق التأثير في المتلقي ومن ثمّ اقناعه بما يوجّه إليه , فالشعر لا يقتصر على الجانب الجمالي فقط بل له غايات أُخرى . وقد حاولنا عبر هذه الدراسة الكشف عن النصوص الإشهارية القومية في شعر العصر المملوكي ضمن المدّة الزمنية الممتدة من سنة 648هـ وحتى سنة 784هـ , وهي من الحقب المليئة بالتحولات والحوادث , وقد انقسمت الدراسة إلى قسمين : القسم الأول: مدخل نظري تمثل في البحث عن مفهوم القومية لغة واصطلاحا ،وعلاقة اللغة بالقومية، ثم تعريف الاشهار القومي .

اما القسم الثاني: فتمثّل بالجانب التطبيقي وقد انقسم الى قسمين :القسم الاول: تحدثت فيه عن الاشهار العربي ،والقسم الثاني: خُصص للحديث عن الاشهار التركي ،ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الحجاجي البلاغي في تحليل الابيات الاشهارية.

القسم الاول: مدخل نظري

القومية في اللغة هي : ((الجماعة من الرجال والنساء وقيل هي للرجال خاصة دون النساء [...] وقوم كل رجل شيعته وعشيرته)) [1]، فهي جماعة من الناس يشتركون في جامعة تميزهم عن غيرهم . [2]

وفي الاصطلاح تدل القومية على الثبات والاستقرار في المكان وهي: مبدأ سياسيّ اجتماعي أو عقيدة تميز أمة عمن سواها ضمن اطار جغرافي محدد وثابت يشترك بتراث ولغة ولها اصول عرقية واحدة وهي بهذه تدعو اصحابها إلى العمل وتعزيز الثقة الموحدة وتدعيم التراث وتنمية المصالح مع حصر الجهود ضمن هذا النطاق[3].

واللغة من مقومات القومية فهي ((الوعاء الثقافي للقوم لا من حيث انها الاداة التي تستقر فيها معاني الكتب المقدسة، أو الاقوال الموحى بها، في أذهان القوم فقط ، وانما من حيث انّها الشيء الذي يشتمل على التراث الثقافي الذي صنعه السلف، والأدوات الثقافية التي يمارس بها المعاصرون الحياة، ثم ما يمكن ان يضيفه اليها من يجيئون فيما بعد من الخلف))[4] .

فاللغة تمثل الوعاء الذي يضم بداخله الكثير من الأدوات الثقافية المتمثلة بالعادات والتقاليد ، والمعتقدات، والقيم الروحية، والتأريخ الحي، فهي بمثابة الهوية لتلك الجماعة تعبر عن ثقافتهم وتراثهم وشخصيتهم[5] .

ويمكن القول انّ الإشهار القومي هو الإعلان عن الثقافة القومية لفرد ما أو لمجموعة من الأفراد، هذه الثقافة تمثل هوية الأمَّة، حاضرها وماضيها ومستقبلها، وهي طريقة بناء الادراك والمعنى الذي يمثل قصص الأمَّة وذكرياتها، باستطاعتها– الثقافة القومية – بناء الهوية القومية بإنتاج معان حول الأمَّة نستطيع أن نتماهى معها ونتصورها[6]، فالأفراد حينما يشتركون في التقاليد نفسها ويعدون أنفسهم أيضًا مختلفين عمن لا يشتركون معهم فيها ينشأ لديهم معتقد محدد وهو ما يسمى بالوعي الذاتي الجمعي، أي ثقافة مميزة، وهو ما يشكل منظومة التقاليد لجماعة محددة تختلف بصفاتها وخصائصها عن أي منظومة اخرى، تلك الخصائص تمثل حدود العلاقة الاجتماعية التي تسمح لنا بأن نميز (نحن) عن (هم) [7] .

---

[1] لسان العرب, محمد بن منظور الافريقي المصري , (ت٧١١هـ) تح: امين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ،١٩٩٩م : 11/ 361، مادة (قوم)

[2] ينظر : المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، الادارة العامة لأحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية مصر،ط٤، ٢٠٠٤م: ٧٦٨ ،مادة(قوم)

[3] ينظر : القومية العربية والاسلام، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1988م : 19

[4] المصدر نفسه : ١٩_٢٠

[5] ينظر: المصدر نفسه: 20

[6] ينظر : سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكيك واعادة البناء، د . عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ،2017 م : 148

[7] ينظر : القومية مقدمة قصيرة جدا، ستيفن جروزبي، تر : محمَّد ابراهيم الجندي ومحمد عبد الرحمن اسماعيل، علا عبد الفتاح يس، مؤسسة هنداوي،القاهرة، ط1، 2015 م : 17

وبناءً على ما تقدم فالقومية هي مجموعة من الروابط والسمات المشتركة التي تربط أفراد مجتمع ما تتمثل بالعرق والدين واللغة والمجالات السياسية والثقافية كافة والإشهار القومي هو الاعلان او الإشارة لتلك السمات .

تسلّط الاعاجم (المماليك) في العصر المملوكي على البلاد العربية وهي طبقة ارستقراطية غريبة عن الشعب وبعيدة عن همومه، لا يهمها إلا مصلحتها الخاصة، فعانى الشعب ومنهم الشعراء من العنصرية والفقر والتهميش، وقد عبّر الأدب في تلك المدّة عن هذا الاهمال واطلق الاديب صرخات مدويّة تندد بالمماليك وسياستهم الجائرة وتذكر العرب بأمجادهم محاولة لاستنهاض هممهم ،وبرز ايضاً نوع آخر من الشعراء عززوا ثقافة الآخر وتوجهه القومي غير العربي .

القسم الثاني :

أوّلًا: الإشهار العربيّ:

ساد في العصر المملوكي نظام فئوي تمثلت الفئة الاولى منه بالطبقة الحاكمة وهم المماليك من غير الجنس العربيّ، التي استأثرت بالحكم والثروات والعيش الرغيد، أمَّا الفئة الثانية فهي سائر الشعب التي أُبعدت تماما عن الحكم والقيادة العسكرية وأُلزمت بالفلاحة ودفع الضرائب[8]،لذلك قامت ثورات عدّة ترفض تولي المماليك السلطة بوصفهم أغراب ومن هذه الثورات ثورة العربان التي حدثت سنة 651 هـ التي تولى زعامتها حصن الدين بن ثعلب[9] الذي صرح قائلا : ((بأنَّا أحَقُّ بالمُلكِ مِن المماليك، وقد كفى أنَّا خَدَمْنا بني أيوب، وهم خوارِجُ خرجوا على البلاد))[10]،وقد واجه الظاهر بيبرس[11] حركات تمرد عدة أنكرت على المماليك أي حق في الحكم، ومنها

---

[8]ينظر: الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ،عمر موسى باشا، المكتبة العباسية ، دمشق، ط2، 1972 م :59 ،وينظر: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ،سعيد عبد الفتاح عاشور ،دار النهضة العربية، القاهرة، ط2 ، ١٩٩٢ م : ١٦

[9] حصن الدين بن ثعلب بن الامير الكبير نجم الدين علي بن الامير الشريف فخر الدين اسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب الجعفري , قام بثورة ضد المماليك سنة 651هـ إلا ان الملك المعز قام بإخمادها وقبض على حصن الدين وزج في السجن وبعد ذلك شنقه الظاهر بيبرس. ينظر : البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب , احمد بن علي بن عبد القادر , تقي الدين المقريزي (ت845هـ), تح: فردناد واسطون فيلد , طبعة جوتنجن , المانيا ,ط1، 1847 م: 10،24.

[10] السلوك لمعرفة دول الملوك ، احمد بن علي بن عبد القادر , تقي الدين المقريزي (ت:845هـ)،تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1997م : 1 /480

[11] الظاهر بيبرس: بيبرس بن عبد الله، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي، ولد بارض القبجاق سنة 625هـ، صاحب الفتوحات والاخبار كان شجاعا يباشر الحروب بنفسه ،تولى سلطنة مصر والشام (سنة 658 هـ)، توفي في دمشق سنة 676هـ ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية، ينظر :فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تح : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) :235/1، وينظر: الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م :٢ /279

حركة قادها رجل شيعي يدعى الكوراني[12] ،فقد جمع حوله مجموعة من الموالين واخذ يحرضهم على الاطاحة بالملك بيبرس [13]، إلا أن السلطات في كل ثورة تلجأ إلى ممارسة القوة والعنف لإخمادها .

إنّ الإشهار العربيّ ما هو الا مظهر من مظاهر الرفض وعدم قبول الخضوع للعناصر الاجنبية المتسلطة على البلاد العربية .

والعرب في اللغة خلاف (العجم) وهم الجنس السامي الذي سكن الجزيرة العربية، والعربي هو الفصيح الذي ينسب إلى العرب وجعل الله سبحانه وتعالى القرآن عربيا لأنه انزله على رسوله بلغة العرب [14] .

والإشهار العربيّ هو تمجيد العرب واعلاء شأنهم، وطالما تغنى الشعراء في ابيات شعرية معبرة عن نفس عربية مليئة بالشجاعة والكرم، قال صفي الدين الحلي[15] معبرا عن ذلك:

سَـــلي الرِمـــاحَ العَـــوالي عَـــن مَعالينـــا، وَاِستَشـــهِدي البـــيضَ هَـــل خـــابَ الرَجـــا فينـــا

وَســـائِلي العُـــربَ وَالأَتـــراكَ مـــا فَعَلَـــتْ فـــي أَرضِ قَبـــرِ عُبَيـــدِ اللَهِ أَيـــدينا

لَمّـــا سَـــعَينا، فَمـــا رَقّـــت عَزائِمُنـــا عَمّـــا نَـــرومُ ،وَلا خابَـــت مَســـاعينا

قَـــومٌ إِذا اِستُخصِـــموا كـــانوا فَراعِنَـــةً، يَومـــاً، وَإِن حُكِّمـــوا كـــانوا مَوازينـــا

تَـــدَرَّعوا العَقـــلَ جِلبابـــاً، فَـــإِن حَمِيَـــت نـــارُ الـــوَغى خِلـــتَهُم فيهـــا مَجانينـــا

إِذا اِدَّعَـــوا جـــاءَتِ الـــدُنيا مُصَـــدِّقَةً، وَإِن دَعَـــوا قالَـــتِ الأَيّـــامُ: آمينـــا[16]

ومنها قوله:

إِنّـــا لَقَـــومٌ أَبَـــت أَخلاقُنـــا شَـــرَفاً أَن نَبتَـــدي بِـــالأَذى مَـــن لَـــيسَ يُؤذينـــا

---

[12] صاحب الانتفاضة التي حدثت نهاية عام ٦٥٨هـ ، وقد اظهر هذا الرجل الزهد وسكن قبة الجبل واستقطب الغلمان والركبدارية وجماعات من السودان ووعدهم بمنحهم اقطاعات واسعة فثاروا ليلا وجابوا شوارع القاهرة يهتفون (يا آل علي)، وفتحوا دكاكين السيوفيين وتسلحوا بالأسلحة الموجودة فيها ، الا ان بيبرس اخمد هذه الانتفاضة وصلبهم على باب زويلة ، ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك : ٥٢٢/١

[13] ينظر: الايوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، د. قاسم عبده قاسم، د. على سيد علي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، (د. ط)، (د .ت) : 150

[14] ينظر :لسان العرب : 1/ 361، مادة (عرب)

[15] صفي الدين الحلي هو : عبد العزيز بن سرايا بن علي بن ابي القاسم بن نصر السبنسي الطائي, برع في فنون الشعر والنظم , ولد سنة 677هـ , مدح الملوك وله ديوان دونه بنفسه بثلاث مجلدات توفي سنة 750هـ. ينظر: فوات الوفيات , 2/ 335 ،وينظر: الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، شهاب الدين احمد بن علي بن محمَّد بن علي بن احمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ) دار المعارف العثمانية، ط 1، 1349 هـ: 369/2.

[16] ديوان صفي الدين الحلي، تح: كرم البستاني ،دار صادر ،بيروت،ط1،(د.ت) : 20

بـــــيضٌ صَـــــنائِعُنا، ســـــودٌ وَقائِعُنـــــا، خُضـــــرٌ مَرابِعُنـــــا، حُمـــــرٌ مَواضـــــينا

لا يَظهَـــرُ العَجـــزُ مِنّـــا دونَ نَيـــلِ مُنـــىً، وَلَـــو رَأَينـــا المَنايـــا فـــي أَمانينـــا[17]

بثّ الشاعر عبر نصّه متواليات إشهارية أفصحت عن حقائق وأمور تناولها الشاعر وصفاً وتأكيداً وتقريراً، فالبنية الخطابية التواصلية ترمي إلى حمل المتلقي إلى الإذعان والتصديق لما يوجّه إليه .

وينطوي النص السابق على فخر الشاعر بقومه , إذ أسبغ عليهم صفات الشجاعة والبطولة والثبات في الحروب، وهذا الامر يتضح عبر ذكره مجموعة من الألفاظ الإشهارية منها: (معالينا، ما رَقَّت عَزائِمُنا، وَلا خابَت مَساعينا،...)،فالشاعر يسعى الى إعلاء شأن قومه عبر ايراده مجموعة من القيم الاخلاقية الثابتة في المجتمع العربي أي انه أعطى انموذجاً واضحاً لأخلاق العربي المترسخة في ذهن المتلقي، لاستنهاض الهمم من جهة ،وبثّ روح الرعب والخوف في قلوب أعدائه من جهة اخرى.

وحملت الأفعال : (سلي، استشهدي، سائلي) قوة إنجازيَّة لتحقيق فعل الطلب وهو سؤال الرماح العالية، وطلب شهادة السيف وسؤال العرب والعجم عن بطولات قومه، وبذلك يحقق الشاعر دعاية ترويجية لقومه.

و قدّم الشاعر الجار والمجرور (في أرض) على الفاعل والمفعول به خارقاً القاعدة الترتيبية لتحقيق غاية إشهارية وهي جعل المتلقي يدرك أهمية الفكرة لان التقديم يفيد التأكيد والتفضيل وازالة الإبهام والغموض أو بيان الاهتمام[18] .

وجاء اسلوب التوكيد (إنا لقوم...) _ موظفاً (انّ) مع ضمير المتكلم (نا) و(اللام)_ لإثارة انفعال المتلقي وتأكيد خطابه الإشهاري.

ولجعل الخطاب أكثر تأثيراً واقناعاً استعان الشاعر بالموسيقى الداخلية للألفاظ، فالجناس غير التام في قوله : (الأذى _ يؤذينا، منى _ منايا)، أسهم في توليد موسيقى تلتذ الأذان بسماعها، فالجناس أحد أنواع الزخرفة اللفظية التي تولد ايقاعاً متناغماً ولطيفاً تجعل المتلقي يصغي اليها ويرتاح لسماعها ،وتضيف على النص الإشهاري جمالاً وتولد صوراً دلالية موحية وهنا تكمن فاعليتها في دفع المتلقي إلى اكتشاف الرابط بين اللفظتين المتجانستين، والشاعر بهذا أثار المتلقي لغاية إقناعيه ثابتة في ذهنه وهي إعلاء شأن قومه (العرب).

وحقق الطباق في لفظتي (بيض وسود) جرساً موسيقياً جميلاً وقام بوظيفة حجاجيّة إشهاريّة عملت على إيضاح المعنى وتثبيته في النفس، فـ ((السرّ في جمال الطباق، فضلاً عن تثبيته المعنى في النفس _لان الضد أقرب حضوراً في البال اذا ذُكر ضدّه _ انّه يصف الشيء المتحدث عنه ازاء الضدين المتقابلين))[19].

فالمحسنات البديعية تؤدي دوراً حجاجياً اذا وظّفت لغرض الإقناع وتثبيت الفكرة المطروحة والوصول إلى الأهداف الإشهارية فتضيف بهاء ورونقاً وفاعلية إلى النص وتترك اثراً في نفس المتلقي .

ومن الأسباب التي أيقظت الوعي القومي عند العرب معاملة الأتراك للعرب واستبدادهم وجورهم وما خلفوه من آثار سلبية في نفسيّة الجماهير[20]، وبالنتيجة فانّ تلك الاسباب كان لها أثر واضح في النتاج الشعري من

---

[17] المصدر نفسه:21

[18] ينظر: اساليب بلاغية الفصاحة _البلاغة _ المعاني، د. احمد مطلوب، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، ط1، 1980 م:170-172، وينظر : الاسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية، فتح الله احمد سليمان، تقديم : طه وادي ،مكتبة الآداب، القاهرة ،ط2، 2004 م : 208

[19] اسس النقد الادبي عند العرب، احمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1996م : 447

التشبث بالماضي واستذكار الأمجاد العربية والتأسي بها بعد تسلّط الأعاجم على السلطة، كما عبّر الشاعر مجير الدين اللمطي[21]:

من بني الدّهر عُصبةٌ كالحمير ... دع الشِّعرَ والْفَهم بالشّعيرِ

لا تخاطبهم جهاراً إذا ما ... رُمتَ ان يفهموا بغير الصّفيرِ

وَدع المدحَ والهجاءَ فما للـ ... ـمدح والهجو فيهمُ تأثير[22]

خسرتْ صفقةُ الاديب وخابتْ ... عند قاضيهمُ وعند الاميرِ

قُلْ لمن يدّعي الفضيلةَ منهم ... لستَ في العِير ولا في النّفيرِ

اين اشياخنا الذين افادوا ... وافرَ العلم في ممرّ الدُّهورِ[23]

قدّم الشاعر شبه الجملة (من بني) في نصّه لأجل فائدة اشهارية وهي تخصيص المقدم بالتشهير والعدول من النمط المعياري إلى النمط الإبداعي ((لان الجملة لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها [...] والعدول عن هذه الرتب يمثل خروجاً عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية)) [24] ،وهو بهذا التخصيص قدّم صورة تعريفية للمُشهر بهم، ليقوم بعد ذلك باستدعاء المتلقي لتبني موقف معين وعدم الرضوخ للآخر عبر اسلوبي (الامر والنهي)؛ لما لهذين الاسلوبين من قوة إنجازيّة تواصلية وطاقة حجاجيّة إشهارية فقوله : (دعْ، قلْ، لا تخاطبهم) جاءت لتوجيه المتلقي على وفق ما يريده المتكلم .

ووظَّف الشاعر أسلوب الاستفهام في البيت الأخير بقوله: (أين اشياخنا؟) ؛ لإيجاد اسلوب حواري هادف وجريء غايته تحريك ذهن المتلقي ودعوته إلى التفكير والتأمل عبر الاستفهام الانكاري واستحضار الأمجاد العربية السابقة وأيام الخلافة الزاهرة، فالشاعر يسعى عبر هذا الاسلوب الى تحقيق غايات تضفي على نصّه الإشهاري الحركة وشدّ ذهن المتلقي وتوجيهه نحو الطرح الموجه إليه ؛لإعادة هويته العربية التي سُلِبَت بفعل ما جرى من أحداث سياسية وأطماع أجنبية .

واستعمل الشاعر الصورة البيانية التشبيهية, إذ شبّه الآخر المملوكي بالحمار الذي لا يفهم الأمور ولا يحسن التصرف فالصورة قربت الفكرة وأكسبتها وضوحاً، فالشاعر أفصح عمّا يكنه وما يختلج بداخله بوساطة تلك الصورة .

---

[20] ينظر: موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي:م7/ 213

[21] مجير الدين اللمطي:عمر بن عيسى بن نصر بن محمد بن الحسن , كان نحوياً وشاعراً توفي سنة 721 , وله من العمر ثلاث وثمانون سنة . ينظر: الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد ،كمال الدين ابي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوري الشافعي , (ت: 748هـ), تح: سعد محمد حسين , مراجعة طه الحاجري ,الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د .ط) 1966م: 448.

[22] في البيت اقواء،ينظر :الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد:٤٥٢

[23] الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد :٤٥١_٤٥٢

[24] البلاغة والاسلوبية، محمّد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر ، ط1، 1994م :٣٢٩

وأفاد الشاعر من الموروث العربيّ فقد وظَّف المثل العربيّ ((لست في العير ولا في النفير))[25] الذي يُضرَب لقليل النفع ومن ليس له شأن ، فالغاية من هذا المثل هو الحطّ من شأن المماليك .

أما موسيقى النص فقد جاءت موحية ومعبّرة عن انفعال الشاعر فتوظيف الشاعر حرف الراء رويا لأبياته الشعرية والراء _ في هذا النص_ انماز بالحركة والاهتزاز عبّر عن استهجان الشاعر للآخر كما وظَّف الشاعر التكرار فتكررت لفظتا (دع ،والمدح) لتعميق الفكرة وتأكيدها ،إنّ التكرار في هذه الالفاظ ليس مجرد ظاهرة اسلوبية بل يسعى الشاعر عبرها الى تقوية الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي فهي مفتاح الوصول إلى المقصود وشحن النص بطاقة اشهارية لتعزيز المعنى .

وقد جاءت لفظة (المدح) الثانية مدورة فجاء هذا المد ليدل على استغراق الشاعر في قضيته بصورة متواصلة من دون توقف .

ومن الشعراء من حزن على ما أصاب اللغة العربية من الغربة, بسبب وفود لغات أُخر على أسماع الناس، وقد عبّر البهاء زهير[26] عن ذلك قائلا :

تُكَلِّمُني بِالأَرمَنِيَّةِ جارَتي أَيا جارَتي ما الأَرمَنِيَّةُ مِن طَبعي

وَيا جارَتي لَم آتِ بَيتِكِ رَغبَةً وَلا أَنتَ مَن يُرجى لِضَرٍّ وَلا نَفعِ

دَعاني إِلَيكِ اللَيلُ وَالأَينُ وَالسُرى فَصادَفتُ أَمراً ضاقَ عَن حملِه وُسعي

كَلامُكِ وَالدولابُ وَالطِفلُ وَالرَحا فَلَم أَدرِ ما أَشكوهُ مِن ذَلِكَ الجَمعِ

كَلامُكِ فيهِ وَحدَهُ لي كِفايَةٌ كَأَنَّ صُخوراً مِنهُ تُقذَفُ في سَمعي

لَكِ اللَهُ ما لاقَيتِ يا عَرَبِيَّتي وَماذا الَّذي عُوِّضتِ بِالبانِ وَالجِزعِ

سَأَدعو عَلى الجُردِ الجِيادِ لِأَنَّها سَرَت فَأَتَت بي وادِياً غَيرَ ذي زَرعِ[27]

تمثل اللغة المرتكز الاول والاساس للهوية الثقافية فلا يمكن ان تكتمل هوية الانسان واعتزازه بقوميته من دون لغته ، لذا جاء اعلان الشاعر من البدء بوجود فجوة ثقافية بينه وبين جارته (الارمنية)، ولعله في قوله هذا لم يقصد الجارة فقط وانما حاول تمرير ثقافته الرافضة لهوية الآخر الثقافية ،فلفظة الجارة حملت معنيين الاول حقيقي

([25]) كتاب جمهرة الامثال لابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د.احمد عبد السلام ،خرج أحاديثه ابو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلميه ،بيروت –لبنان ،ط١،،١٩٨٨م:٢/٣١١

[26] البهاء زهير: زُهَيْر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن يحيى بن الْحسن بن جَعْفَر الأديب, ولد سنة 581هـ في مكة , له ديوان شعر مشهور , وشعره غاية في الانسجام والعذوبة والفصاحة , توفي سنة 656هـ ، ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) ، تح: احمد الارناؤوط ، و تركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠م : 14/ 156, وينظر: مسالك الابصار في ممالك الامصار، ابو فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ) ، تح: كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م : 18/ 142

[27] ديوان البهاء زهير، البهاء زهير، شرح وتحقيق: محمَّد طاهر الجبلاوي و محمَّد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2 (د. ت) : 152- 153

والآخر رمزي استدعاه الشاعر للتعبير عن رفضه لسياسة المماليك المتسلطة، التي حاولت سلب هويتهم الثقافية فالرمز ((يملك قدرة على الايحاء القادر على النهوض بالمعاني المبتغاة ويجعل من الوصف ركيزة اساسية للنهوض بالأفكار بالإضافة إلى خلق القناعات الفكرية الآراء)) [28]

ولترسيخ الفكرة وظف الشاعر اداة النداء (يا) للدلالة على البعد الثقافي بينه وبين الآخر ،فالبعد بينهما لم يكن بعداً مكانياً فقط، بل بعداً ايديولوجياً فرضته الظروف الراهنة المُعَبر عنها في النص بالاضطرار ،فلولا ذلك لما اجبر على المبيت في هذه الدار والتعامل مع صاحبته، وهو عبر هذا الاستعمال يرسم صورة لمعاناته في المحافظة على هويته الثقافية من دون الاصطدام بالآخر.

وكان للتشبيه اثر مهم في اثراء دلالة النص والتعبير عما يجول في نفس الشاعر، ونقل ذلك إلى المتلقي، فشبّه كلام الجارة الارمينية بالصخور التي تقذف بالأسماع ،ولتعزيز الفكرة كرر الشاعر لفظة (كلامك) ليجعلها محوراً مركزياً يؤكد عبرها استهجانه ومقته لثقافة الآخر .

وقد كان لأدوات النفي حضور متميز، بوصفها إحدى العوامل الحجاجية التي تؤدي وظيفة اشهارية، كما انّها تؤدي إلى اذعان المتلقي وتسليمه للفكرة المطروحة، فأدوات النفي كما قال ديكرو مورفيمات توجه القول والمتلقي في الوقت ذاته ((اذ يحقق بها المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في اذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة)) [29] .

و قدّم الشاعر (لك الله) في البيت السادس لتحقيق الانسجام وبث الشكوى فجاءت متناسبة مع الجو العام للنص، وأوضح الشاعر عبر التقديم قصر الشكوى لله سبحانه وتعالى من دون غيره ، كما جاءت لفظة (عربيتي) لبيان هويته الثقافية وترسيخها، وحمل المتلقي على فهم الرسالة الموجهة له[30].

ثانياً: الإشهار التركي:

لقد قدّم المماليك انجازات مهمة في القضاء على الخطر العسكري الذي كان يتربص بالعرب، فقد عمل المماليك على توحيد الجبهة العربية كما أثبتت معركة المنصورة ضدّ الصليبيين ومن بعدها معركة عين جالوت ضدّ المغول قدرة المماليك في الدفاع عن الاسلام [31].

وقد ذكر بيبرس المنصوري الناصري الدوادار[32] المماليك بقوله : ((اتخذوهم عدة في النوايب لما فيهم من الشجاعة والاقدام وثبات الاقدام ورمى السهام، ودربتهم برياضة الخيول، وصبرهم على الخطب المهول،

---

[28] الرمز في الخطاب الادبي، حسن كريم العاتي، دار المؤلف للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2015 م : 51

[29] العوامل الحجاجيه في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدير للنشر، ط1، 2011 م : 47

[30] للاستزادة من النصوص الدالة على الاشهار القومي ينظر: ديوان صفي الدين الحلي: 25، وينظر: الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد : 541،وينظر :ديوان البوصيري، شرف الدين البوصيري(ت:696هـ)،مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ،مصر،ط1 ،1955م:90-91

[31] ينظر :الايوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري : 147

[32] بيبرس المنصوري الدوادار : ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي الدوادار , ولد في مصر وتوفي فيها سنة 725هـ عن عمر يناهز الثمانين سنة, كَانَ عَاقِلا وافر الهيبة كَبِير الْمنزلَة، كان من مماليك المنصور ثم دوادار السلطان–أي حامل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما– وناظر الاحباس , من تصانيفه زبدة الفكر , والتحفة المملوكية. ينظر: الدرر الكامنة: 509/1– 510, وينظر: الاعلام : 80.

واعتيادهم بشظف الحروب وممارستهم منذ طفولتهم الخطوب، وصيروا منهم الامرا الاكابر والمقدمين على العساكر، ورفعوا منازلهم وحصلوا بهم معاقلهم))[33]

لذا وقف الشعراء مشهرّين بأفعالهم ومواقفهم الشجاعة في الدفاع عن الأراضي العربية بغض النظر عن غايتهم الأساس، لذا نجد العزازي[34] وسم الأتراك بجند الله ،قائلا:

ونحـــــن التُّـــــركُ جنـــــدُ اللهِ اوفـــــى الـــــ ـــــــــورى شـــــــدّاً واقـــــــداماً ولِينـــــــا

وقـــــالوا : إنّنـــــا نحـــــنُ المـــــوالي ونحـــــنُ سُـــــراتُهُم لـــــو انصـــــفونا

نصـــــــرْنا آل عبّـــــــاسٍ قـــــــديماً وايّـــــــدْنا الملـــــــوكَ الرّاشـــــــدينا

وثبّتْنـــــا الخِلافـــــةَ حـــــينَ زلّـــــتْ فقـــــرّتْ بعـــــدما اضـــــطربتْ ســـــنينا

ولـــــولا الظّـــــاهرُ الملـــــكُ المرجّـــــى لمـــــا ملَـــــكَ الفخـــــارَ بنـــــوا ابينـــــا

ابـــــو الفـــــتح الـــــذي فـــــي كـــــل يـــــومٍ يُرينـــــا مِـــــنْ عجائبـــــهِ فُنونـــــا

شأى «عادا» و« شداداً» وكسرى «كسرى» و«قيصر»و « التبابعَ» و« القُرونا» [35]

وفـــــاقَ عُـــــلا ملـــــوك العصـــــر طُـــــرّاً وســـــادَ علـــــى الملـــــوكِ السّـــــالفينا

فـــدعْ عمْـــرو بـــن وُدّ[36] وابـــن معْـــدي[37] وبِســـــطاماً[38] وعنتـــــرة [39] الهجينـــــا

---

[33] زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، ركن الدين بيرس المنصوري الدوادار، تح : دونالد س. ريتشاردز، مطبعة مؤسسة حسيب درغام واولاده، بيروت ،ط1، 1998م : 23

[34] العزازي : احمد بن عبد الملك الشهاب العزازي , التاجر بقيسارية جركس كان شاعراً جيداً ظريفا، له موشحات في مدح الرسول (صلى الله عليه واله وسلم), توفي في القاهرة سنة 710هـ , وله من العمر ثلاث وثمانون سنة . ينظر: الدرر الكامنة : 1/ 193, وينظر : فوات الوفيات : 1/ 95.

[35] عاد بن شداد من ملوك العرب الذين ابادهم الله بسبب طغيانهم , وكسرى اسم لكل ملك من ملوك الفرس, وقيصر اسم لكل ملوك الروم بالتتابع مفردها تبع , ملوك اليمن الملوك القدامى عامة .

[36] عمر بن ود: احد مقاتلي قريش , قتله الامام علي (عليه السلام) مبارزة في غزوة الخندق سنة 5 هـ. ينظر: السيرة النبوية ،ابن هشام (ت 213هـ او 218هـ), دار الكتاب العربي , ط3, 1990م: 302/3.

[37] عمرو بن معد كرب بن ربيعه بن عبد الله الزبيدي , من فرسان اليمن , وفد على المدينة المنورة سنة 9 هـ واسلم , ينظر: الاعلام : 86/5.

[38] بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني , من فرسان الجاهلية , وكان مضربا للأمثال فيقال(اغلى فداء من بسطام بن قيس), حيث اسره عيينه بن فارس , فكان فداؤه اربعمئة ناقة وثلاثين فرسا. ينظر : الاعلام : 51/2.

[39] عنترة بن شداد بن عمرو بن قراد العبسي , من فرسان الجاهلية , وشعراء الطبقة الاولى , امه حبشية , ورث السواد عنها، ينظر: الاعلام : 5/ 91.

ولا تطلـــــــــبْ «لبيْبَـــــــــرْسٍ» نظيـــــــــراً فـــــــــذلكُمْ بعيـــــــــدٌ انْ يكونـــــــــا[40]

اعتمد الشاعر على الرمز في نصه الإشهاري للدلالة على أصل السلطان بيبرس في قوله : (نحن الترك) وهو بذلك يشير إلى أصل السلطان التركي وينعته بانه جندي من جنود الله الذين اتصفوا بالوفاء والشجاعة والإقدام واللين في الوقت نفسه، وقد اعتمد الشاعر في نصه الإشهاري على الحوار القائم على النقاش الهادئ مع احترام طرفي النقاش، وقد دفع الاسلوب الحواري الشاعر الاعتراض على مزاعم الطرف الآخر بالاعتماد على الحجج المقنعة والأدلة المقبولة، فقد أنكر قول الذين يدعون انّ الظاهر بيبرس عبد وأكد انّه سيد قومه وأفعاله تؤكد ذلك ،ويشير ضمناً الى أجداده الذين كان لهم باع طويل في نصرة الخلافة العباسية والوقوف إلى جانبها.

وقد تكرر الضمير المنفصل (نحن) ثلاث مرات، فأدى هذا التكرار إلى إيجاد إيقاع موسيقي ودلالي، ووظَّف الشاعر أسلوب التوكيد اللغوي الإشهاري باستعماله (ان) والضمائر لدعم الافكار وترسيخها .

ثم يتابع حواره الإشهاري بنفس الوتيرة بذكر صفات الملك التي أكدتها الأسماء والكنى، فالظاهر لقبه ؛لأنه في مقدمة جيشه وأبو الفتح كنيته وقد فاقت شجاعته الفحول والأبطال السابقين ومن ذاع صيتهم من أبطال الأزمنة الغابرة أمثال (عاد وشدّاد وكسرى وقيصر وعمرو بن ود وعنترة وبسطام وابن معدي) من رموز وأساطير الشجاعة والبطولة والفروسية، فلم يصل هؤلاء إلى ما وصل إليه هذا الملك إذ فاقهم شجاعة وفروسية، ومثّل أسطورة خالدة لا مثيل لها ، فالخطاب السابق انطوى على ذكر محامد المماليك وتعداد فضائلهم الا إنه يخفى وراءه غايات ايديولوجية ترويجية يسعى الشاعر عبرها الى كسب ثقة المتلقين والتأثير فيهم لإعلاء شأن المماليك على العرب .

الخاتمة

–يمثّل الإشهار القومي الانتماء الى أُمة ما , تجمع هذهِ الأمة روابط عدّه أهمها وحدة الدم واللغة .

– انقسم شعراء العصر المملوكي الى قسمين : القسم الاول :دعا الى التحرر من التسلّط التركي عبر ايقاظ الوعي العربي ورفض تسلّط المماليك على الحكم, أمّا القسم الثاني: فيمثل الشعراء الذين رحبوا بالوجود التركي ووجدوا فيهم الشجاعة و الخلاص من الخطر المغولي والصليبي.

– جاء الإشهار العربي كردّ فعل على سياسة المماليك العنصرية التي تسلّطت على الشعب العربي وأقصته عن السلطة , فجاء الإشهار العربي ليعبّر عن القيم العربية الأصيلة وأمجاد العرب وبطولاتهم المشرفة , أي انّ التراث العربي مثّل المرجعية التي جسدت الانتماء والتأصيل الثقافي؛ لإثارة حميّة المتلقين وحثهم على رفض تسلط الأعاجم واسترداد الحقوق المسلوبة .

– للغة أثر مهم وأساس في العملية الاشهارية ,إذ يقوم المشهر باستغلال طاقات اللغة وامكانياتها الحجاجية والبلاغية والصوتية في عملية التأثير والاقناع .

---

[40] ديوان العزازي، شهاب الدين احمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي (ت: 710 ه) تح : د. رضا رجب، دار الينابيع ،دمشق ط1، 2004 م : 135–136

المصادر

- الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ،عمر موسى باشا، المكتبة العباسية ، دمشق، ط2، 1972 م .
- اساليب بلاغية الفصاحة _البلاغة _ المعاني، د. احمد مطلوب، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، ط1، 1980 م.
- اسس النقد الادبي عند العرب، احمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1996م .
- الاسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية، فتح الله احمد سليمان، تقديم : طه وادي ،مكتبة الآداب، القاهرة ،ط2، 2004 م .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥، ٢٠٠٢م .
- الايوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، د. قاسم عبده قاسم، د. على سيد علي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، (د. ط)، (د .ت) .
- البلاغة والاسلوبية، محمَّد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر ، ط1، 1994م .
- البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب , احمد بن علي بن عبد القادر, تقي الدين المقريزي (ت845هـ), تح: فردناد واسطون فيلد , طبعة جوتنجن , المانيا ,ط1، 1847 م.
- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، شهاب الدين احمد بن علي بن محمَّد بن علي بن احمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ) دار المعارف العثمانية، ط 1، 1349 هـ.
- ديوان البهاء زهير، البهاء زهير، شرح وتحقيق: محمَّد طاهر الجبلاوي و محمَّد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2 (د. ت) .
- ديوان البوصيري، شرف الدين البوصيري(ت:696هـ)،مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ،مصر،ط1 ،1955م.
- ديوان العزازي، شهاب الدين احمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي (ت: 710 هـ) تح : د. رضا رجب، دار الينابيع ،دمشق ط1، 2004 م .
- ديوان صفي الدين الحلي، تح: كرم البستاني ،دار صادر ،بيروت،ط1،(د.ت) .
- الرمز في الخطاب الادبي، حسن كريم العاتي، دار المؤلف للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2015 .
- زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، ركن الدين بيرس المنصوري الدوادار، تح : دونالد س. ريتشاردز، مطبعة مؤسسة حسيب درغام واولاده، بيروت ،ط1، 1998م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، احمد بن علي بن عبد القادر, تقي الدين المقريزي (ت:845هـ)،تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1997م .
- سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكيك واعادة البناء، د . عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ،2017 م .
- السيرة النبوية ،ابن هشام (ت 213هـ او 218هـ), دار الكتاب العربي , ط3, 1990م.

- الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد ،كمال الدين ابي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوري الشافعي , (ت: 748هـ), تح: سعد محمد حسين , مراجعة طه الحاجري ,الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د .ط) 1966م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدير للنشر، ط1، 2011.
- فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تح: احسان عباس ، دار صادر ، بيروت (د.ط) ، (د.ت) .
- القومية العربية والاسلام، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1988م .
- القومية مقدمة قصيرة جدا، ستيفن جروزبي، تر : محمَّد ابراهيم الجندي ومحمد عبد الرحمن اسماعيل، علا عبد الفتاح يس، مؤسسة هنداوي،القاهرة، ط1، 2015 م .
- كتاب جمهرة الامثال لابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د.احمد عبد السلام ،خرج أحاديثه ابو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط١،،١٩٨٨م
- لسان العرب, محمد بن منظور الافريقي المصري ,تح : امين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٩م .
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ،سعيد عبد الفتاح عاشور ،دار النهضة العربية، القاهرة، ط2 ، ١٩٩٢ م .
- مسالك الابصار في ممالك الامصار، ابو فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ)، تح: كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، الادارة العامة لأحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية مصر،ط٤، ٢٠٠٤م.
- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) ، تح : احمد الارناؤوط ، و تركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ،٢٠٠٠م .